٣ ـ لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وعدت فى مقالى الثـانى أن أبين للأستاذ العبادى كيف اختلفت الروايات فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله ابن على ، وقد سلك الأستاذ العبادى فى اختلاف هذه الروايات مسلـكاً ليس من الإنصاف العلمى فى شىء ، فجعل تلقيب أبى العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصفهانى ولهذا لا يوثق بها عنده ، وإنما يوثق بالرواية التاريخية القديمة التى سكتت عن تلقيب أبى العباس بهذا اللقب ، كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم وغيرهما . ويؤخذ بما رواه غير أولئك المؤرخين الأدباء من تلقيب عبد الله بن على بالسفاح ، وإنما كان هذا ليس من الإنصاف العلمى فى شىء ، لأن سكوت أولئك المؤرخين عن تلقيب أبى العباس بالسفاح لا يصح أن يطعن به فى رواية من لقبه به ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وهذه قاعدة مشهورة عندنا معشر الأزهريين ، ولا يمكن أن يجادل فيها الأستاذ العبادى ، وإنما يصح الطعن برواية أولئك المؤرخين إذا وردت بنفى ذلك اللقب عن أبى العباس ، وحينئذ يكون معنا نافٍ ومثبت ، وقد اختلف علماء الأصول فى تقديم أحدهما على الآخر . على أن الأستاذ العبادى لا يمكن أن يدعى أنه استوعب الرواية التاريخية القديمة كلها فى ذلك ، وقد فاته من هذه الرواية رواية أبى الحسن المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فقد جاء فى كتابه « مروج الذهب » تلقيب أبى العباس بالسفاح ، والمسعودى مؤرخ مشهور ، وقد كان معاصراً للطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو ممن عده الأستاذ العبادى فى أصحاب الرواية التاريخية القديمة فيكون المسعودى من أصحابها أيضاً ، وسيجد الأستاذ العبادى بعد هذا كله أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأنا لسنا فى حاجة إلى إنكار بعضها أو ترجيحه على الآخر

وقد أراد الأستاذ محمود شاكر أن يسلك هذا الطريق فى الجمع بين هذه الروايات المختلفة ، فذكر أن قول اليعقوبى (عبد الله بن على الأصغر وهو السفاح) منقول من ابن سعد فى طبقاته حين ذكر أولاد على (عبد الله بن على الأكبر وعبد الله بن على الأصغر السفاح الذى خرج بالشام) ، ولا يريد ابن سعد بذلك التلقيب كما يرى من اليعقوبى ، وإنما ذلك صفة كالسفاك والقتال ، وبهذا لا يكون السفاح لقباً لعبد الله بن على ، وإنما يكون لقباً لابن أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد بن على ، وقد كان يسمى عبد الله الأصغر أيضاً ، كما كان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر . ثم ذكر الأستاذ محمود أن أبا جعفر قد لقب أبوه بالمنصور فيما يعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بالسفاح كما لقب أخاه بالمنصور

ولما قرأت هذا للأستاذ محمود سألته عما يعتمد عليه فى إسناد تلقيب أبى جعفر وأبى العباس بالمنصور والسفاح إلى أبيهما محمد ابن على ، فلم أجد عنده ما يعتمد عليه فى ذلك . وقد بحثت بنفسى لعلى أجد ما يؤيده فيه ، فلم أجد إلا ما ذكره صاحب العقد الفريد ، من أن محمد بن على ولد له من امرأته الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله ، وكنى الأكبر أبا العباس ، والأصغر

كلما طار فى السماء شهاب ... طار قلبى وثباً وراء الشهاب
أو ذكا البرق فى الدجنة[1] ناراً ... شب نار الأحزان ملء إهابى
تسمد الذكريات أهلها ، وأنى ... ذكريانى محطم الأعصاب

* * *

ياصديقى لبيت دعوة « رضوا ... ن » وخلفتنى لحر المصاب
لم تزود أخاك بالنظرة العجـ ... ـلى على وشك نية واغتراب
ووداع الأحباب فن من السا ... وى وعون على احتمال الغياب
ليت آذنت بالفراق ، فكنا ... نثر الدمع فى طريق الركاب
كذب الشعر ما لمن حان علم ... بالذى سجلته «أم الكتاب»
إن من منة الإله علينا ... أن توارت أسرارنا بالحجاب
لو درى الناس ما تستر عنهم ... قعدوا عن تناول الأسباب
لمع الغيب للظماء سراباً ... ضل صاد يجرى وراء السراب
روض الغيث قبر من كان روضاً ... حالياً بالعلوم والآداب
بان عنا ، فبان كل جميل ... فعزاء للآل والأصحاب

على الجندى

(١) الدجنة : السحاب المطبق تطبيقا

أبا جعفر[1] ولم يذكر أنه لقبهما بذينك اللقبين ، بل الظاهر مما سننقله فيما يأتى عن صبح الأعشى أن أبا جعفر تلقب بالمنصور بعد انتقال الأمر إليه من أخيه أبى العباس

والرأى عندى أن أبا العباس لم يلقبه أبوه بهذا اللقب قبل أن تقوم دولتهم ، ولم يلقب هو نفسه به بعد أن صار إليه الأمر ، لأن مثل هذا اللقب لا يتفق مع الألقاب الإسلامية التى عرف بها الأمراء قبل أبى العباس وبعده ، وإنما هو لقب لصق به لصوقاً ، وأطلقه عليه الناس وكثير من المؤرخين ، لوصفه نفسه به فى خطبته عند ما بايعه الناس ، فقد ذكر الطبرى أنه لما بويع صعد المنبر فقال : الحمد لله الذى اصطفى الإسلام تكرمة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، إلى أن قال مخاطباً أهل الكوفة : وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير

وقديماً لقب العرب كثيراً من الشعراء بمثل ما لقب به أبو العباس ، فلقبوا عائذ بن محصن بن ثعلبة العبدى بالمُشَقِّب لقوله :

رَدَدْنَ تحيةً وكَنَنَّ أخرى وتَقْبِنَ الوَصاوِصَ للعيون[2]

ولقبوا عمرو بن سعد بالمرَقِّش الأكبر لقوله :

الدار قَفْرٌ والرسومُ كما رقَّشَ فى ظهر الأديم قَلَمْ

وكذلك كثير من الشعراء غيرهما

وإذن يكون لقب السفاح فى أصله وصفاً بالنسبة إلى أبى العباس ، كما كان فى أصله وصفاً بالنسبة إلى عمه عبد الله ابن على ، ثم اشتهر به أبو العباس عند بعض المؤرخين ، كما اشتهر به عبد الله بن على عند بعض آخر منهم ، ولكل منهم فى ذلك رأيه واختياره ، وليس فيه شىء من الغلط والاشتباه الذى يدعيه الأستاذ العبادى

وعلى هذا لا يكون لقب السفاح هو اللقب الحقيقى الذى اختاره لنفسه أبو العباس ، وإنما هو لقب غلب عليه عند المؤرخين بذلك السبب السابق ، حتى أنسى الناس لقبه الحقيقى الذى اختاره لنفسه بعد أن صار إليه الأمر ، بل دعا هذا إلى عدم الاهتداء إلى لقبه الحقيقى بيقين ، وإلى ذلك الخلاف الذى سنذكره فيه ، ولكنه مع هذا هو اللقب الذى يصح أن يضمه لنفسه مثل أبى العباس ، ويتلاءم مع ألقاب من أتى بعده من العباسيين .

قال الخطيب البغدادى : عبد الله أمير المؤمنين السفاح بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا العباس ، ويقال له أيضاً المرتضى والقائم ، ثم قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال : أبو العباس المرتضى والقائم عبد الله بن محمد الإمام بن على السجاد ابن عبد الله الحبر ابن عباس ذى الرأى ابن عبد المطلب شيبة الحمد .

وذكر القلقشندى أن خلفاء بنى أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بابتداء الدولة العباسية ، فتلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت البيعة له بالإمام ، وأن الخلف وقع فى لقب السفاح فقيل القائم ، وقيل المهتدى ، وقيل المرتضى ، ثم تلقب أخوه بعده بالمنصور ، واستقرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولى الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب بالمعتصم بالله ، فكان أول من أضيف فى لقبه من الخلفاء اسم الله ، وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء

وفى هاتين الروايتين وخصوصاً الأخيرة من العناية بتحقيق تلك الألقاب ما يجعلنا نثق بهما ، ونطمئن إليهما ، وفيهما لا يدخل لقب السفاح فيما قيل إنه لقب أبى العباس ، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه فيه ، وقد جاء بعد أبى العباس من تلقب بالقائم بأمر الله ، ومن تلقب بالمهتدى بالله ، ولم يتلقب أحد بالمرتضى بعده ، فلعله كان اللقب الذى اختاره لنفسه ، على أن ظاهر رواية الخطيب البغدادى أنه كان يقال له المرتضى والقائم معاً

هذا ولا يفوتنا فى ختام كلامنا أن نبين حقيقة ما جاء فى تاريخ ابن العبرى عن السفاح ، من أنه كان رجلاً طويلاً أبيض اللون ، حسن الوجه ، يكره الدماء ، ويحامى على أهل البيت ، فإن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم ، بدليل ما قدمنا من أمره فى دماء غيرهم ؛ على أن العبرى يقيس فى ذلك أمره بأمر من جاء بعده من العباسيين .

عبد المتعال الصعيدى

(١) هذا يخالف ما سبق من أن الأصغر هو أبو العباس ، ويخالف المعروف أيضا من أن أم المنصور كانت أم ولد بربرية يقال لها سلامة .

(٢) الوصاوص : براقع صغار تلبسها الفتيات